لمولاه وشده اشتغال قلبه بالحضور بسواله عن تقواه وهذا على حسب ما يغلب على قلب العارف فيه
مما يحدثه الحق فيه من الاحوال فتارة تخاف اللقا وتارة يشتاقه ويحبه ومحبته تختلف
تارة خوفا على نفسه من التغيير وتارة لتشل ما يرجوه من فضل العليم الخبير وقد روي كان عمر
ابن الخطاب رضي الله عنه كمال فضله واجتهاده في القيام بحقوق الله فيما خصه في نفسه فيما
وفيما بينه وبين خلقه انه كوم كومة بطحا ثم والقى رداه عليه واستلقى على ظهره
ثم مد يده الى السما في صورة الفقير العاجز الذي لا حيلة له ثم قال اللهم كبر سني وضعفت قوتي وانتشرت
رعيتي فاقبضني اليك غير مبدل ولا مغير قال الامام رضي الله عنه سمعت الاستاذ ابا علي الدقاق
رحمه الله يقول دخلت على الامام ابي بكر ابن فورك رحمه الله عايدا فلما راني دمعت عيناه فقلت
له ان الله سبحانه يعافيك ويشفيك فقال لي تراني اخاف من الموت انما اخاف مما ورا الموت اخبرنا علي
ابن احمد الاهوازي قال انا احمد بن عبيد ثنا محمد بن عثمان ثنا القاسم بن محمد ثنا يحيى بن يمان عن مالك
بن مغول عن عبد الرحمن بن سعيد بن موهب عن عايشة رضي الله عنها قالت قلت يا رسول
الله الذين يوتون ما اتوا وقلوبهم وجلة اهو الرجل يسرق ويزني ويشرب الخمر قال لا ولكن
الرجل يصوم ويتصدق ويصلي ويخاف ان لا يقبل منه قال الشارح رضي الله عنه وهذا
يدل على ان الخوف يكون مع كمال الطاعة وذلك لكونه لا يعرف صحة عمله ولا قبوله لخفا ما
يطرى الاعمال من الافات ولذلك قال الامام ابو بكر بن فورك رضي الله عنه ما بكاي من الموت
وانما بكاي لما بعد الموت وعليه يدل قول النبي صلى الله عليه وسلم لعايشة في تفسير الاية
وهي قوله تعالى والذين يوتون ما اتوا وقلوبهم وجلة هل وجلهم عن المعاصي من الزنا او السرقة
وشرب الخمر فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم لا بل الرجل يصوم ويصلي ويتصدق ويخاف
ان لا يقبل منه فدل ذلك على ان الخوف منقسم على اقسام فيكون للعاصين والمطيعين والاوليا
والمقربين قال الامام رضي الله عنه وقال ابن المبارك رحمه الله الذي يهيج الخوف حتى يسكن في
القلب دوام المراقبة في السر والعلانية سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت محمد بن احمد يقول
سمعت عليا الرازي يقول سمعت ابن المبارك رحمه الله يقول ذلك قال الشارح رضي الله
عنه وهذا صحيح فان الحامل على دوام المراقبة لما يطرى القلب من الخواطر الداعية الى الافعال
اما بالقلب او بالجوارح انما هو الحذر من قبول ما يكرهه الحق سبحانه واذا كانت الخواطر
تتوالى على القلب من قبل الحق سبحانه بغير واسطة او بواسطة الملك والنفس والشيطان
فلا بد من دوام المراقبة بالعلم ولا يتم ذلك الا بقوة الحذر والخوف فالخوف الصادق فلتوالي
الحذر على القلب تحصل المراقبة ولذلك قال الامام ابن المبارك رحمه الله ما قال وهو ان
الحذر انما يسكن القلب لدوام المراقبة وعلامة السكون توالية حتى يصير كانه ساكنا
فان لا عارض لا ينفك عنها قال الامام رضي الله عنه وسمعت محمد بن الحسين يقول سمعت
ابا

ابا بكر الرازي يقول سمعت ابراهيم بن شيبان يقول اذا سكن الخوف القلب احرق مواضع
الشهوات منه وطرد رغبة الدنيا عنه قال الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح في الصادقين
الميل الى الشهوات والنفور عنها فان الهوى يميل الى الشهوات والخوف يحجز عنها لما اشتملت
عليه من البليات وبهذا الاعتبار كان حب الدنيا راس كل خطيه وخوف الله تعالى راس كل خير
فان العبد اذا خاف الله تعالى نفر عما يسخطه عليه واشتغل بما يرضيه عنه وقد بينا
ان مراده بسكون الخوف في القلب توالية عليه قال الامام رضي الله عنه وقيل
الخوف قوة العلم بمجاري الاحكام وقيل الخوف حركة القلب من جلال الرب قال
الشارح رضي الله عنه فقوله قوة العلم بمجاري الاحكام يعني تصرف الله تعالى في خلقه
من الهداية والاضلال والعواقب والاواخر والطاعة والعصيان تحقيق ذلك لما سبق وكان
ممن قوي علمه بهذا التصرف لم يامن على نفسه بحال ولو كان في افضل المقامات والاحوال
وهذا العلم هو سبب الخوف لا نفس الخوف فعبر عن الخوف بسببه كما عبر الثوري
عن الزهد بقصر الامل واما من قال حركة القلب لجلال الرب عن نفس الخوف وهو قلق
القلب وانزعاجه لامر متعاظم ولا اعظم ولا اجل من الله تعالى فمتى استشعر العبد سطوة
الحق به في حالته التي هو عليها ولو كان في افضلها وبه اضطرب قلبه وانزعج لجلاله
عز وجل كما قال تعالى اذا ذكر الله وجلت قلوبهم قال الامام رضي الله عنه وقال ابو
سليمان للقلب ان لا يكون الغالب عليه الا الخوف فانه اذا غلب الرجا على القلب فسد
القلب ثم قال يا احمد بالخوف ارتفعوا فان ضيعوه نزلوا قال الشارح رضي الله عنه
وهذا ابلغ من ابي سليمان الداراني رضي الله عنه انه اراد من تلميذه احمد ميلا الى جانب
الرجا وكل مبتدي محتاج الى الخوف لكي لا ينظهر من الايام ويمحو ما فسد من الايام بالاثام
ويستقيم بسببه على احوال السادة الكرام فصح له الخوف وامره ان يكون الغالب على حاله
ويدل عليه قوله يا احمد بذلك ارتفعوا فان ضيعوه نزلوا واذا استقام من العبد الاحوال الكمال
كان الكمال في استوايهما في قلبه من غير اخلال وهو الذي اوصى به ابو بكر الصديق عمر بن الخطاب
رضي الله عنهما وقوله لعمر ليكون العبد راغبا راهبا لا يتمنى على الله ولا يقنط من رحمة الله
وهو الذي يدل عليه كلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه في قوله لو نادى مناد من السما ايها الناس
انكم كلكم داخلون الجنة الا رجلا واحدا لخفت ان اكون انا هو ولو نادى مناد انكم انا هو
كلكم داخلون النار الا رجلا واحدا لرجوت ان اكون انا هو وهذا يدل على كمال معرفته
بنفسه وما يجري عليه من زلله واستقامته وهما اسباب الهلاك والنجاة ومعرفته بجلال
ربه وعظمته وهو انه يفعل ما يشا قال الامام رضي الله عنه وقال الواسطي الخوف والرجا
زمامان على النفوس لئلا تخرج الى رعوناتها قال الشارح رضي الله عنه ورعونة النفس
ن

Copyright © King Saud University